ويبرز في فن التصميم سمة تميزه كفن يتفق إلى حد بعيد مع معايير نظرية الجمال الفني، ألا وهو أن الموضوعات التي يثيرها فن التصميم هي موضوعات مركبة أو تركيبية تستقي الكثير من أهميتها من علوم ومعارف مجاورة، وبالتالي فإن هدفها ليس هدفاً واحداً فقط كما يثار في موضوع الجمال في العمل الفني فقط، بل أهداف متعددة بين الجمال والنفع والوظيفة والأداء.

وهذا التركيب هو الذي يشكل السمة المميزة للتصميم كفن له شروطه ومعاييره الخاصة.

ونلحظ ذلك في كل التصاميم التي يتداولها الإنسان في بيئته، فالتصميم لا يمكن أن تكتمل صورته بناء على جهود المصمم المعماري، وإنما هناك فريق عمل كبير له تخصصات دقيقة تملأ ذلك الوعاء الذي يحتويها ونسميه الشكل المعماري. والأشكال الصناعية تخضع للعديد من الحسابات الهندسية والميكانيكية والبيولوجية والحركية في شكل يحتويه نطلق عليه تصميماً صناعياً.

الجمال الفني والفائدة Artistic Aesthetics and benefit

إننا حين نبحث عن معان مرادفة لمعنى الجمال في مثل هذه الأشياء الفنية التي تشغل بيئة الإنسان، نصل إلى معنى كبير قد ينافس الجمال أو يتفوق عليه ألا وهو (الفائدة) حتى اقترن المعنيان في فن التصميم بدلالة وظيفة واحدة وأصبح الجميل في فن التصميم يدل على الفائدة أو الشيء المفيد الذي يحمل قيمة جمالية عالية.

وفي تاريخ العمارة والصناعة والطباعة مازلنا نعد تلك الأشياء والتي أنتجت في زمن مضى وعلى رغم انتهاء وظيفتها ذات أشكال كانت تخدم أغراضاً جمالياً فنحول المباني القديمة إلى متاحف كونها جزءاً من الذاكرة الحية المتواصلة للمجتمع وتحتفظ بأدوات كثيرة تمثل حضاراتنا الغابرة في متاحف خاصة كالأواني والرماح والأزياء والمخطوطات....

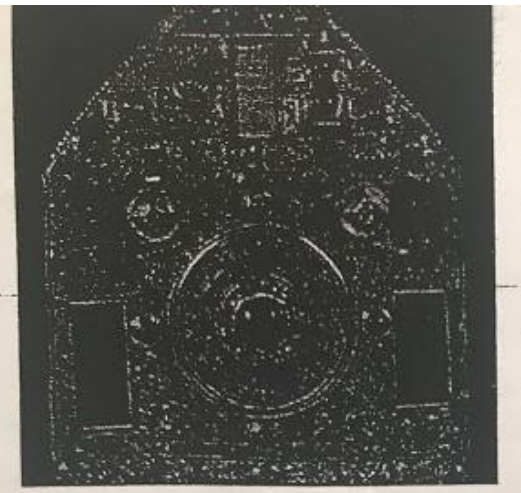

الجمالي في زمن معين ولا تعبر هذه الأشياء عن مستوى الإدراك والتذوق في الاستخدام في زمنه. وهل تعد هذه الأغراض المتنوعة تبعاً لنظرية الجمال أعمالاً فنية؟

يقول (جوتشوك) إنها مسألة درجات، وعلى قدر اقترابها من الجاذبية فإنها تعد فناً جميلاً حتى تصل إلى جاذبيتها العالية، فعند ذاك تكون فناً تماماً، فهل يعني هذا أن الأشياء التي تركز على موضوع الصدق والإتقان والحرفية العالية وتبتعد عن الجاذبية وبالتالي عن الجمال هي أعمال غير فنية أو أقل شأناً؟[٣]. إن هدف الصانع منذ العصور الأولى لتعامله مع المادة والتقنية كان يهدف إلى إتقان عمله لكي يؤدي هذا العمل هدفه الحقيقي، ثم أظهرت أهمية الشكل الجذاب بعد ذلك وحتى قبل ظهور هذا المفهوم أو دونه فإننا مازلنا ننظر بعين الإعجاب والاعتزاز والاحترام لأولئك الصناع الذين يقدمون لنا الملابس الجميلة والمصوغات الذهبية والفضية والأثاث والأدوات، علماً أن هؤلاء الصناع لم يضعوا في حسبانهم موضوع الجاذبية كهدف أساسي لبناء شكل أو تصاميم هذه المنتجات في أول عهدها، وإلا ما فائدة تصنيع وتصميم قلم جميل لا يكتب أو صناعة طيارة مدهشة لا تطير أو ملابس جذابة لا يمكن ارتداؤها.

«وعلى هذا الأساس كانت الأهمية الرئيسية لطابع المنفعة هو الذي يميز الصنائع من الفنون ذات القيمة الصناعية مضافاً إليها القيم الجمالية. وهذا ما ندعوه فن التصميم بالمصطلح التداولي»[٤].

وقد اعتمدت بعض الآراء في نظرية الجمال الفني على أن قيمة العمل الفني تتضح من خلال مقصد الفنان وهدفه من إنتاج عمله الفني، حيث كان لهذه العملية أهداف عديدة على مر التاريخ، فبينما كانت وظيفة الفن السحر، ثم وظيفة دينية وتدرجت حتى شملت العديد من عادات الإنسان. وقد يكون هدف الفنان من

الاجتماعي، أي أن قيمة التجربة ونبلها يرتبطان بالمقصد فيها. وعليه فقد كان المشتغلون في الفنون الجميلة يسعون إلى هدف تحقيق الجمال وتكوين شيء يكون من الرائع إدراكه وتأمله، والمصممون يسعون إلى هدف تحقيق الجمال الذي يرتبط بالنفع والوظيفة والأداء. لا شك أن للفنانين دوافع مختلفة في إنجاز العمل الفني، وقد طرحت العديد من الآراء التي تمثل تلك الدوافع، فبينما كان شارل لالو يجد أن الفنان يبحث عن الوسيلة الكمالية والتطهيرية والعلاجية في الفن، كان موندريان يجد أن الفن يعيد التوازن للحياة وأننا لا يمكن أن نستغني عن الفن إلا عندما تستعيد الحياة توازنها، وهكذا تعددت الرؤى والأهداف في آراء عديدة حول الفن وقيمته(٥).

لغة الجمال والموضوع الفني Aesthetics language and artistic subject

الحقيقة في نظرية الجمال هي أن العمل الفني لا يكفيه أن تكون له جاذبية إدراكية كافية، وإنما يفصح عن هذه الجاذبية بطريقة علنية تكون لغة الشكل الأولى التي يواجه بها العمل الفني المتلقي، وألا تشكل الوظيفة في الفنون النفعية حجة على غياب الشكل الذي يسلب العقل ويجذب النظر ويثير البهجة والسرور، لأن ذلك من شأنه في فن التصميم أن يجعل من تداولية فن التصميم أمراً محبباً مقبولاً، لأن استخدام واستعمال التصميم شيء يدعو إلى الكمال وتغطية الحاجات الأساسية للإنسان. والنظرية تؤكد هذا الجانب بأن الفنان عموماً يريد أن تكون للموضوع مثل هذه الجاذبية، والمصمم يريد أن يكون لتصميمه ذلك السحر الخلاب الذي يعبر عن طاقته الإبداعية ويشعره بعملية الخلق والإنجاز.

وفي التصاميم المختلفة نجد أن الجاذبية تكون على مظهرين أساسيين: الأول، في قيمة لغة الشكل وتنظيمه والتي تواجه المتلقي أو المستخدم لأول وهلة، فحسن انتظام الشكل وتوازنه والإثارة والمظهر الجذاب لا بد أن يكون لها وقع لطيف في النفس، فتغري بالاقتناء والتملك والاستخدام لأن الإنسان بطبعه يسعى لإكمال النواقص التي يستشعرها أو يلبي حاجات نفسية ومادية كائنة في